تفريغ محاضرة

ففروا إلى الله

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/٩/١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .

من أعظم نعم الله عز وجل علينا أن تكون لنا مواسم تتنزل فيها نفحات من رحمات الله تعالى علينا، ومن رحمة الله عز وجل علينا أن جعل هذه المواسم تتكرر على العباد سنة بعد سنة، لأنّ الله عز وجل يعلم أن العباد في حاجة ماسة إلى هذه المواسم.

من هذه المواسم شهر رمضان المبارك شهر الرحمة على العباد، ومن رمضان كله جعل في العشرة الأواخر أعظم الرحمات وأعظم البركات، وبالذات في ليلة من لياليها،

ونحن الآن تفصلنا ثلاثُ ليالٍ عن دخولنا في هذه العشر الأخيرة، وحديثنا عن هذه العشر الأخيرة يجعلنا نتذكر ونتبصر في أحوالنا، إن كنا ضيعنا أو فرطنا فيما سبق، أو أن سيرنا لم يكن بالقدر الذي نأمله، وأن مخططاتنا في الختم والقيام والتوبة والكثير من الأشياء منّا من أفلح فيها، ومنا من استطاع، ومنّا من لا زال يجاهد نفسه،

تأتي هذه العشر لتكون محفزًا أكبر، فمن رحمة الله عز وجل بنا أن جعل لنا هذا الموسم الأخير فرصة للحاق والتدارك، وغالبًا أعظم ما في المواسم هي آخرها، لذلك أعظم ما في الصيام هي لحظة الفطر، وأعظم ما في القيام هي لحظة الوتر ولحظة السحر التي هي نهاية الليلة قبيل الفجر، وأعظم ما في الحج هو يوم عرفة وهي من النهايات، ولذلك كل العبادات أعظم ما فيها غالبًا يكون تلك النهايات، فأعظم ما في رمضان هي العشر الأخيرة الآن..

كيف يجب أن يكون حالنا في هذه العشر؟

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» [أخرجه البخاري في صحيحه]

في كل عام نحن نحتفي بمقدم العشر، نخصص لها درسًا ونذكر بها، ليس اجتهادًا منا، بل لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يجعل لها أيضًا معاملة خاصة، فكانت تختلف عبادته في العشر عن كل رمضان فكل رمضان في كفة وهذه العشر التي سندخلها الآن في كفة أخرى، قد تكوني فرطتِ في الأيام التي مضت، ولكن لما أتت هذه العشر شدّيت مئزرك وأظهرت قوة في العبادة وتبتّلا، وجلستِ على باب الله أن يعطيك سؤلك، فلو أحسنتِ في هذه الأيام وبلغت ليلة القدر فالله عز وجل يغفر لك كل ما مضى، لياليٍ مهمة يقول عنها الله عز وجل: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [القدر: ٢-٤] كل فضائل ليلة القدر مجموعة في هذه السورة.

لعظيم فضلها هذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ» [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الألباني:حسن صحيح].

يعني من تفُته ليلة القدر هذا العام فقد حرم الخير كله،

ومن حكمة الله سبحانه أنه خبأها فلا يُعلم هل هي ليلة واحد وعشرين أو ليلة سبعة وعشرين أو ليلة ثلاثة وعشرين، وقال جمهور العلماء أنها تتنقل فليست دائمًا في ليلة سبعة وعشرين أو أنها دائمًا ليلة خمسة وعشرين، ممكن في سنة تكون واحد وعشرين وممكن في سنة تكون سبعة وعشرين .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ» [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الألباني:حسن صحيح]

يعني ما يُحرم خيرها إنسان جاهل، بل لا يُحرم خيرها إلا محروم، يعني أنت حرمت نفسك من هذا الخير فلما حرمت نفسك من هذا الخير كنت مستحقًا أنك تُحرم!

والله عز وجل الكريم ونحن في شهر الكرم، وإذا كان الله عز وجل غلّق أبواب النار وجعل أبواب الجنة مُفتّحة والمنادي يُنادي يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، وترين كيف أنّ نفوسنا مُتّجهة إلى عمل الخير، وهناك ما يمنعنا عن الشر، ولا نرغب بأي شيء يجرح صيامنا، نحرص أشدّ الحرص لأننا نعلم أن رمضان إذا فات فما له عوض..

هذه المشاعر التي يُركبها الله في العبد في هذا الشهر تجعلنا نفهم أنه لن يُحرم خير ليلة القدر إلا محروم قد كتب على نفسه هو أولًا أن يكون من المحرومين.

ما هي الأهمية في ليلة القدر؟

أهميتها من اسمها، فليلة القدر أي ذات المكانة، لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ولأنه نزل فيها دينٌ ذو قدر ولأنه تنزل فيها ملائكة ذات قدر.

ففي ليلة القدر نزل القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام ونزل به الروح الأمين الذي هو مَلَك ذو قدر، فهذه ليلة مشرّفة، فإذا عرفنا أنها ليلة عظيمة إذن المفروض أن القلب يُعظّم الله عز وجل فيها وينشغل بتعظيمه .فنُكثر فيها من التهليل ومن التكبير ومن التسبيح ومن التحميد ولا ينشغل الإنسان عنها بأي أمر آخر.

فضائل ليلة القدر:

١- في هذه الليلة تضيق الأرض من نزول الملائكة، لأنها تنزل فيها على قدر الحصى! ولماذا تتنزل؟ لأن الله يُباهي بعباده في ليلة القدر، وتأمل شعورك لما تنظر لمكة كيف أن الناس كلهم جمعتهم العبودية هنا، فكذلك في العشر تضج الأرض كلها عبودية لله عز وجل فالناس ما بين صائم وقائم ومعتكف ورافع يديه بالدعاء،

ليلة تعج بالطاعات لذلك يُباهي الله بهم ملائكته، قال تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [القدر:٤]

[تنزّل] يعني فوج بعد فوج، يعني الملائكة لا تنزل مرة واحدة، بل من كثرتها تنزل أفواجًا أفواجًا، ولتتخيلي العظمة والكثرة لو رأيت منظر الحرم وهو ممتلئ بصحنه ومصلياته وسطحه ببياض المحرمين، أكثر من هذا العدد الذي يذهلك هو أعداد الملائكة التي ترفع أعمال العباد في ذلك اليوم.

إذن نحن مُقبلون على ليلة استثنائية وليلة غير عادية ولذلك من حُرم خيرهذه الليلة فقد حُرم، هذه الليلة هي ليلة الشرف، يقول أبو بكر الوراق: من لم يكن له قدر صار بمُراعاتها ذا قدر.

[فمن لم يكن ذا قدر] يعني لم يكن لي قدر بالعبادة والختمات والقيام، وكل الحديث عن الاستعداد لرمضان لم يغيّر فيّ، وأحس أن روحي ثقيلة وجافة وليس عندي أي إحساس بروحانيات رمضان، وكأن قلبي غير موجود وفرّطت كثيرًا في الطاعات، [صار بمراعاتها ذا قدر] يعني أحس بالتفريط ونوى جازمًا مراعاة هذه الأيام الثمينة القادمة التي فيها ليلة القدر، وعزمت على ملازمة محرابي ومصلاي ومصحفي، وانتبهت لأفعالي وحذرت من الذنوب والمعاصي، من فعل كل هذا وراعى حقّ الليلة فإن من كرم الله أن يجعل العبد هذا ذا قدر.

وهذا الكلام مهم جدًا حين نشعر أننا مكبّلون بذنوبنا، وأنه ليس لك عند الله حظ ولا نصيب، فإنك ما دمت تدعو وترجو باب الله فأبشر..

وهذه معلومة ولتكن دومًا في بالك: تعرفون أن من علامات الساعة خروج المهدي صح؟ الذي يخرجه الله ويُصلح فيه عباده، هل تعلمون أن المهدي هذا يُصلحه الله بين يوم وليلة؟ فهو ما تربى منذ أول أمره تربية صالحة أو نشأ وهو كذلك، لا لا، بل بين يوم وليلة الله يصلحه، ولذلك لا شيء يعجز على الله عز وجل، فأنتِ لستِ عملة صعبة، وقلبك ليس شيئًا صعبًا، الله جل جلاله قادر أن يأتي به ولكن عليك بالدعاء.

فحاولي أن تدعي الله عز وجل أن يأتي بهذا القلب إلى الله عز وجل. هذه الليلة يباهي الله عز وجل فيها الملائكة كما قلنا وأيضا حينما عرف النبي عليه الصلاة والسلام أن أعمار أمته ما بين الستين والسبعين فكأنه تقالّها، تقالّها لأننا نعرف أن نوحا عليه السلام جلس تسعمئة وخمسين سنة وهو يدعو قومه، هذا غير عمره الكامل، فمعنى هذا أن عمر الطاعة عنده كان تسعمائة وخمسين سنة فكيف تكون أعمار هذه الأمة قصيرة في مقابل أعمارهم ونحشر معهم؟

لذلك جعل الله سبحانه وتعالى لليلة القدر الفضل الآتي:

٢- جعل الله عز وجل لنا ليلة القدر بألف شهر، ألف شهر ثلاثة وثمانين سنة معنى هذا الكلام أنك لو كنت دائمًا حريصة على هذه العشر لنفرض مثلًا أنك من عشر سنوات وأنت تعتكفين في المسجد في العشر الأواخر، وسواء كانت الليلة ليلة واحد وعشرين أو سبعة وعشرين أو خمسة وعشرين فأنت قائمة قائمة، جدولك هو نفسه في كل ليلة، فجزمًا من قام هذه الليالي كلها جزمًا أنه قد قام ليلة القدر ونسأل الله أن يتقبلها منه، معنى

هذا الكلام لو خلال العشر سنين وُفّقت وفزت بأجر قيام ليلة القدر، فهذا يعني أن ليلة بمقدار ثلاث وثمانين عامًا وإذا ضربتيها في عشرة وهي عدد سنوات قيامك، فهذه ثمانمئة وثلاثون اعامًا من الطاعة أنت أضفتيها لرصيدك العمري!

وتخيلي لو كان عمرك سبعة عشر أو ثمانية عشر واستمريت بهذه العادة إلى أن صرت في سنّ الخمسين هل تتخيلين الكم الهائل من الأجور والحسنات الموجودة عندك لأنك ما ضيعت هذا العشر في حياتك، ومن يوم ما تبدأ ليلة واحد وعشرين إلى ليلة العيد وأنت قائمة على باب الله عز وجل حتى لا تفوتك تلك الليلة.

قال جرير: قلت للضحاك: "أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم ألهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم كل من تقبل عمله سيعطيه من ليلة القدر نصيب".

٣- هذه الليلة أيضا من فضائلها ومن صفاتها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم، تفرق فيها يعني الأقدار تتنزل في هذه الليلة. ولما نقول تتنزل هذه الليلة أي أن من سيهديه الله ستكتب له الهداية في هذه الليلة. ومن سيعطيه الله عز وجل الهدى والتقى والعفاف والغنى سيكتب له في هذا الليلة. ومن سيعطيه الله عز وجل من أرزاق الدنيا والآخرة سيكتب في هذه الليلة. ومن ستحرم تكتب فيه الليلة. من سيحج ستنزل في ليلة القدر من سيمنع من السفر ومن سيبلغ الحج..

طيب لماذا تعتبر هذه المعلومة مهمة بالنسبة لنا أن نعرف أنه ستفرق فيها الأقدار؟ لأجل أن ندعو الله بما نريده ونتمناه لأننا أمام وقت ستنزل فيه الأقدار، فسابقي القدر بدعواتك، وادعي الله عز وجل من الآن حتى تنتهي هذه العشر لتكوني دعوت بهذه الدعوات في ليلة القدر.

﴿سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطلَعِ الفَجرِ﴾ [القدر: ٥] فلا يستطيع الشيطان أن يفوز فيها بمعصية ولا بسيئة فلا يرتفع في ذلك اليوم شيء من السوء ولا من الشر من العباد في تلك الليلة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام وهو يعطينا إلماحة لنعرف متى تكون؟ قال«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» [أخرجه البخاري في صحيحه]

ثم قال ابن عمر عن رجال من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أُروا يعني رأوا في المنام ليلة القدر في السبع الأواخر. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ» [أخرجه البخاري في صحيحه]

يعني من ليلة ثلاثة وعشرين وصاعد إلى ليلة التسعة وعشرين.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» [أخرجه البخاري في صحيحه]

وأيضًا في بيان وقتها قال في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى، يعني تتحرى في الليالي الوترية. ولذلك النبي عليه الصلاة حينما يعطينا هذا الإلماح يقول لك أن ليلة القدر هي هنا في هذه الليالي العشر، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يتحرى تلك الليلة فيشد مئزره ويوقظ أهله ويحيي ليله كله،

فكان السلف رضوان الله عليهم يتحرون هذه الليالي وبالأخص الليالي الوترية وكانوا يحتاطون لها، كيف؟ يعني يقومون العشر كلها احتياطًا لأي خطأ كان في رؤية الهلال، فكانوا يجتهدون في العشر كلها ليلة عشرين، وواحد وعشرين، واثنين وعشرين إلى ليلة العيد، وما هي كثيرة هذه التسعة أيام في ثلاث مئة وستين يوم من السنة فهذه التسعة أيام يُري الإنسان فيها من نفسه خيرًا ويجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها.

فكل من يريد أن يستدرك ما فاته من العمر فعليه الاجتهاد في ليلة القدر.

وإذا عرفنا كل هذه الفضائل الآن لليلة القدر ماذا نفعل؟

ما نفعله أرشدنا الله عز وجل إليه في سورة الذاريات، يقول الله عز وجل: ﴿فَفِرّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] .. ﴿فَفِرّوا﴾ لفظة الفرار أي اهرب أنت من حياتك، فالذي نريد أن نفعله في هذه الليالي أن نقفل كل الدنيا ونهرب من هذا العالم الذي أحرقنا والحياة التي أزعجتنا باستهلاكها اليومي وروتينها اليومي وأزعجتنا سواء في وسائل التواصل أو في الأشياء اليومية التي نتعرض لها، فأنت اهرب من هذا كله وارمِ نفسك عند أعتاب باب الله. ارمِ نفسك كما أنت وقل يا رب أنا أتيتك يارب!

وتذكر حال المعتمر من اللحظة التي يعتمر فيها لحظة الإحرام عندما يصل إلى الميقات ماذا يقول؟ يقول لبيك الله عمرة، وبعدها ما الذي يُسن فعله؟ هو البدء بالتلبية، فتقول لبيك اللهم لبيك. لبيك اللهم لبيك. هذه التلبية ما هي؟ ما معنى التلبية؟ ما معنى أن يناديك أحد فتجيبينه بـ لبيه؟ معناها يا رب أتيتك. فأنت طوال ما أنت في الطريق، وغطاؤك عليك وأنت تلبين كأن قلبك يقول يارب أتيتك ، يارب أتيتك.

وهكذا أقبلي على الله سبحانه في هذه العشر بهذا الشعور، شعور التلبية، في أيّ مكان كنت فيه ادخلي بهذه النية على الله عز وجل وقولي يا رب أنا أتيتك كما أنا، كنت أتمنى أن آتيك وأنا أفضل، وأنا التزمت بالأمور التي عاهدتك فيها وكانت نيتي تغييرها، وما قدرت أني أكون أفضل، أرى الناس تدخل عليك بصلوات وختمات وأنا بلا شيء،

ادخل على الله من هذا الباب وهذا الباب يسمى باب الافتقار. يقول ابن القيم رحمه الله: يقول أحد العارفين: أردت الدخول على الله عز وجل من كل باب، فرأيت الأبواب مزدحمة على الله، دخلت من باب الصلاة ووجدت الناس فيه يقومون بالبقرة وآل عمران والنساء، وأنا أصلًا ما أقدر على القيام ولو بسورة مريم. ثم دخلت من باب الصيام وجدت الناس يصومون الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر ويستديمون، وأنا ما أقدر على الصيام يوم ولو صمت تعبت وصدعت، ثم دخلت على الله عز وجل من باب الذكر ووجدت الناس فيه يجلسون جلسة من بعد صلاة الفجر إلى الإشراق، وأنا لو حاولت ما استطعت الإكمال، ثم دخلت على الله عز وجل من باب الصدقات ووجدت أن ما عندي قليل، دخلت من كل الأبواب فوجدت الناس سبقوني إليها، فلم أجد إلا باب الافتقار إلى الله

فدخلت هذا الباب فوجدته أوسعهم فلما دخلته أخذ الله بيدي، لأن الله كريم وأحب ما على الكريم أن يعطي المحتاج..

وتأملي حال الكرماء من البشر كيف يبحثون بحرص عن أهل الاحتياج، ويحرصون على وضعها في محلها، وعلى تفريج الكرب، فإذا رأوا المعسر تيسر أمره وفرح برجوع كهرباء إليه أو ترميم منزله، يكونون هم أكثر سعادة ورضا منهم، هذا وهم بشر وحب المال طبع أصلي فيهم والكرم عارض، فما بالك بالكريم الأكرم؟ فكيف بالكريم الأكرم لما تأتين أنت إليه؟ من باب الافتقار ومن باب الذل وتدخلين على الله عز وجل من هذا الباب يا رب أنا أتيت. وأنا ليس عندي أي شيء ولكن يارب تقبلني..

إذن الدخول على الله من هذا الباب من باب الذل والافتقار هذه أول وصية أوصيكم فيها.

ومن اللحظة التي يقال فيها أننا سندخل ليلة ٢١ قولي يا رب لك الحمد، واشكري الله عز وجل على هذه النعمة أن الله قد بلغنا، هذه الثلاث أيام المتبقية لنا إلى العشر أصلًا أيام حاسمة! من يشاء الله له بلوغها ويدخلها، ومن يكتب عليه الوفاة؟ ربي أنعم علينا إلى أن دخلنا في رمضان، ونسأل الله أن يبلغنا التمام وأن يبلغنا ليلة القدر والعشر الأواخر، لكن من له ضمانة؟ لا أنا ولا أنت عندنا ضمانات أننا ندخل العشر فضلًا عن أنّا نكملها، فلو بلّغك الله إليها فادخل بهذه المشاعر، الذل والافتقار والشعور بالمنة والشكر لله عز وجل أنه بلغك إياها.

طيب، فماذا كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام إذا دخلت العشر؟

كان النبي عليه الصلاة والسلام يعمل شيئًا واحدًا -كل الأعمال الصالحات التي تكلمنا عنها في كفة وعبادة العشر الأواخر هي شيء واحد- وشيء مهم وهو الاعتكاف.

هذا الاعتكاف له صور عدة، سواء اعتكاف القلب أو اعتكاف البدن، هو قطع العلائق عن الخلق، فتقطعين علائقك عن كل أحد، تتوجهين إلى الخالق فقط، أنتِ وربك فقط، أما الناس فسيأتي وقتهم والعيد أمامنا إن شاء الله، أما الآن هذا الوقت مع ربي، التسعة أيام هذه أنا أحتاجها، لأفيض لربي ما عندي من حديث وهموم، لأدعوه بما أريده أن يصلحه لي ويحققه لي.

يحكي التابعي أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف للصحابي الجليل أبو سعيد الخدري قال: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ الأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي وِتْرٍ..." [أخرجه البخاري في صحيحه]

اعتكف النبي عليه الصلاة والسلام في المرة الأولى في العشر الأوائل التماسًا لليلة القدر لأنه لم يكن يعرف وقتها، فقال له جبريل: "إن الذي تريده أمامك" يعني ما هي بالعشر الأوائل، فاعتكف النبي عليه

الصلاة والسلام العشر الأواسط، فقال "إن الذي تريده أمامك" يعني ما هي بالعشر الأواسط، فاعتكف النبي عليه الصلاة والسلام العشر الأواخر وأُري النبي عليه الصلاة والسلام ليلة القدر في العشر الأواخر وثبت على ذلك.

فكان النبي عليه الصلاة والسلام يمكث في المسجد، يدخل من ليلة ٢١ ولا يخرج إلا ليلة العيد، يؤتى له بطعامه بشرابه لكنه لا يخرج منه إلا لقضاء حاجته ويرجع،

ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يعود مريضًا ولا يخرج في جنازة رغم أفضالها لكن في كل السّنة الوقت متاح لك لهذه العبادات، الزيارات وإجابة الدعوات لها وقتها طوال العام، لكن الآن هذا وقت التعبد، ولذلك لا تنشغل عن الله بأي أحد، ولا تنشغل عن استمطار رحمات الله عز وجل بأي شيء آخر.

ولذلك المقصود من هذا الاعتكاف أن يتحرى الإنسان ليلة القدر وأن يخلو فيها بالله عز وجل، كان السلف يقولون: فإذا دخلت العشر كنا نلزم المساجد نحفظ صومنا، فكانوا يلزمون المساجد يعني يعتكفون فيها يحفظون صومهم ويحفظون لياليهم تحريًا لليلة القدر.

وميزة الاعتكاف أنه يحميك من عدة أشياء، ومن أهمها ترك المحرمات مثل التفرج على المسلسلات أو الأفلام، أو المباحات التي تضيع الوقت كالاجتماعات والمكالمات، أما الاعتكاف فأنت حين تدخل معتكفك المسجد مثلًا ليس لك فيه إلا الصلاة والدعاء وقراءة القرآن،

وهكذا أنتِ منعت نفسك من الحرام ومن فضول الأشياء التي تقسي القلب:

١. فضول المخالطة وهذا يأتي مع كثرة مقابلة الناس والانشغال بالحديث الكثير معهم وهذا مما يقسّي القلب، يقول النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، ...» [أخرجه مسلم في صحيحه]
يغان يعني كأن مثل السواد يأتي ويجثم على القلب، يقول «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» [أخرجه مسلم في صحيحه]
فالنبي عليه الصلاة والسلام يغان على قبله وهو من يقابل؟ هو أصلًا لا يتكلم مثلنا، فكلامه صلوات ربي وسلامه عليه إما في دعوة إنسان أو إرشاد تائه أو حائر ومع ذلك يقول مخالطة الناس تفعل هذه القساوة، ولذلك أنت تأملي في نفسك بعدما تعودين من اجتماعات زيارات معينة تشعرين أن فيك حزن واكتئاب، صحيح أنك كنت تضحكين معهم ولكن بعدها شعرت بإحساس يجثو على القلب.
٢. فضول النظر، وما دمتِ جالسة في مسجد فما الذي سيشغلك النظر إليه؟! وهنا ننبه إلى قضية الانشغال بالجوال وأننا يجب أن نمنع أنفسنا منه.
٣. فضول الأكل والشرب، فلديك دلة قهوة وتمر وفقط، هذا ما يقيم صلبك، ووقت السحور لو طلبتِ أو أحضرت معك أي شيء بسيط، وهكذا نمنع أنفسنا من فضول الأكل والشرب لأنك في التسعة أيام تريدين أن تكوني فيها خفيفة لعبادة الله عز وجل.

٤. فضول الكلام، كان السلف يقولون: "**إذا دخلت العشر فإذا استطعت أن تعد كلامك فعدّه**" يعني عدي كلامك من قلّته، لا تجلسي في معتكفك وأنت تتحدثين وتثيرين المواضيع لطرد النوم، الآن أنت في أيام للعبادة وليس وقتا للانشغال بالكلام.

كان الزهري يقول: "عجبا للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي عليه الصلاة والسلام ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل".

وعن الاعتكاف لو سألنا ثلاثة أسئلة: كم؟ وكيف؟ والأجر؟

فأولاً: كم؟ منكم من تقول لحظة أنا عندي عيال أنا عندي زوج أنا عندي أم أراعيها أنا ما أستطيع أن أكون ليلة كاملة خارج البيت، فما الحد الذي أدرك فيه فضيلة الاعتكاف؟

جمهور العلماء على أنه لا حد لأقل الاعتكاف فيجوز الاعتكاف ولو ساعة، فلو كنتِ تقدرين أن تذهبي مثلا بين المغرب والتراويح للاعتكاف في المسجد فممتاز، ولو كنت تقدرين أن يؤذن عليك المغرب وأنت في المعتكف لأجل أن تحوزي على قيام ليلة كاملة فهذا من أفضل صور الاعتكاف المعاصرة،

وقد تكون من أسهلها بالنسبة للذي لا يستطيع أن يعتكف من ليلة ٢١ إلى ٢٩ لا يخرج من المسجد أبدًا، فمن الصور السهلة أن تذهبي بفطورك البسيط قهوة وتمر إلى المسجد فتفطرون هناك مع أمك أو خواتك أو بناتك، وكذلك الأب وعياله وتجلسون إلى التراويح، لأجل ألا يفوتك شيء من ليلة القدر لأن الليلة تبدأ من أذان المغرب، ثم تصلين التراويح ثم تجلسين فيها تتهجدين إلى وقت التهجد غالبا يكون الساعة الواحدة وتنتهين الساعة اثنيتن أو ثلاثة وهذا يكون قد بقي القليل على أذان الفجر فلو كنت تقدرين أن تجلسي في المسجد وتصلين الفجر وتجلسين إلى الإشراق، وبعد ذلك عودي للمنزل،

يعني الفكرة أنك تخرجين من المنزل والشمس موجودة، وتعودين إليه صباحًا والشمس موجودة، فتكونين قضيتِ ليلة كاملة وأنت في المسجد، فهذه طريقة للناس الذين ما يستطيعون الجلوس في المسجد تسعة أيام كاملة، وهكذا لو كنت في الحرم وما استطعتِ قضاء الوقت كله في الحرم فعلى الأقل لا يفوتك هذا الاعتكاف الجزئي.

ومن الناس من لا تستطيع الجلوس بهذه الطريقة "الاعتكاف الجزئي" فعلى الأقل اجلسي إلى صلاة التهجد، أو على الأقل إلى صلاة التراويح، وكل إنسان أدرى بظروفه فمن لديها طفل صغير، أو أم كبيرة تهتم بصحتها وأدويتها فالله سبحانه يجازي كل إنسان بنيّته، لأنه لا حد لأقل الاعتكاف، فاعتكفي لو كنت قادرة على ساعة واحدة، لكن لا تقبلي بالساعة إذا كنت تقدرين على ساعتين، ولا تقبلي بساعتين إذا كنت تقدرين على ليلة كاملة.

السؤال الثاني: أين نعتكف؟ في المساجد طبعًا، وأفضل هذه المساجد هو المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى،

ولذلك الآن المرابطين في المسجد الأقصى يحوزون على أعلى أنواع الرباط، ما بين اعتكاف العشر الأواخر وما بين الذود عن حياض الإسلام وما بين تطهير هذا المسجد من تدنيس المغتصبين، فهؤلاء حازوا أعلى

أنواع الرباط برباطهم في المسجد الأقصى، والآن تخيلوا أجر ليلة القدر ٨٣ سنة، تخيلوا الناس الآن التي دخلت في هذا المعتكف في الحرم؟ تخيلوا كيف أجورهم؟ الصلاة الواحدة بمائة ألف صلاة، صلاة واحدة بالحرم ركعة وحدة في الحرم بمائة ألف ركعة، والتسبيحة والتهليلة هذه كلها بمائة ألف تسبيحة وتهليلة.

فلو اعتكفت ليلة بالحرم فهذه بمائة ألف، اضربي المائة ألف بالثلاثة وثمانين، هل تخيلتِ كم الأجور؟ ولذلك إذا كنت تقدرين أن تفري إلى الله تسافرين إلى الله فسافري، إذا كنت تقدرين أن تعتكفي في المدينة فافعلي، إذا سمحت لك الظروف فلا تتركي هذه الفرصة،

ولذلك شعارنا في هذه السنة "ففروا إلى الله" اهربي من هذه الدنيا التي كبلتنا، إذا قدرت أن تحجزي وتذهبي ليلة في الحرم فهذا خير وبركة، فتخيلي ليلة واحدة تعتمرين في ليلة ٢١ مثلًا ويقدّر الله أن تصادف ليلة قدر! فتخيلي اضربي ٨٣ في مائة ألف في "عمرة كحجة معي" باعتكاف كامل تخيلي كم الأجور!

والذي يعتكف في المدينة فصلاته بألف صلاة، فتخيلي الركعة الواحدة بألف ركعة وقيل بالمسجد الأقصى كذلك، إذن الأجور تعظّم في هذه الأماكن، ونحن في شهر عظيم فلو قدرت أن تجمعي مع شرف الزمان شرف المكان فهذا أعظم وأكمل!

كوني كالذي يبحث عن الحسنات والأجور بأي طريقة ومن أي باب، فلو رأيت أي باب للخير انوي الدخول إليه عسى أن ينظر الله إلينا في لحظة من اللحظات.

يُروى عن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلًا كبير السن يطوف وكأنه يعتمد على شيء ومحدودب ظهره فقام يطوف وراءه فلما سُئل عن ذلك قال: حريٌّ أن تتنزل عليه الرحمة فأردت أن يُصيبني معه. فالواحد منا يذهب يتلمّس أين رحمات الله عز وجل تتنزل.

السؤال الثالث: ما الأجر؟ الاعتكاف من الأجور التي خُبأت لأصحابها فلا يوجد حديث نصّه من اعتكف فله أجر كذا، أو من اعتكف يومًا دخل الجنة، لا يوجد، ولكن كما قال الشيخ الشنقيطي :
المعتكف لايصيبه هم ولا وصب ولا نصب إلا كتبه الله له حتى النوم ينامه، يعني أنت نويت الاعتكاف ودخلت المسجد فحتى لو لم تقرأي قرآنا ولم تفعلي شيئا ولكن نيتك أنك تنقطعين عن كل شيء إلا الله فهذا يجعلك في أعلى المراتب،

وهذا يشبه أنك فتحت صنبور ماء وظل ينسكب، وهكذا المعتكف ليس صنبور ماء وإنما حسنات، فتخيلي أن الحسنات تصب صبًا طوال ما أنت في معتكفك، نائمة أو متكئة أو تذكرين الله أو تصلين، فما دام أنك حبستِ نفسك وانقطعت لله فصنبور الحسنات هذا لا يتوقف ولا يغلق إلا عندما تخرجين من المسجد

واستنبط العلماء أيضًا للاعتكاف فضائل من أحاديث متفرقة فقالوا إذا كان المصلي تصلي عليه الملائكة ما دام

في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة تقول: اللهم ارحمه اللهم اغفر له، فالمعتكف الذي يجلس ليلة كاملة وهو يلهج بالذكر والدعاء طوال الوقت كم له من الملائكة يدعون له؟ وتخيلي لو وافق دعاؤهم ليلة القدر!

والسؤال الآن: ماذا نصنع؟ سنتحدث عن خطوات عملية:

أولًا: تاجري بالنية:

تاجري بالنية مع ربك، الله لا يريد منك صورة العمل، الله لا يريد منك أن تأتي بجسدك فقط، الله سبحانه يريد قلبك الذي بداخلك،

قال تعالى: {*لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا*} يعني الهدي {*وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ*} [الحج آية ٣٧]

يعني مشاعرك والتفاتة القلب إلى الله، فهناك من الناس من تدخل رمضان وهي مزحومة بمنزل وأطفال وزوج صاحب عزائم ولكن قلبها في كل ساعة ملتفت إلى الله، صحيح أن

اليد مشغولة والقدم مشغولة والجسد مشغول لكن القلب ملتفت إلى الله طوال الوقت وهي

تفكر: (يا رب أعتقتني أم لا، ربي رضيت عني أم لا، تقبلت مني الصيام والقيام أم لا)

بينما آخرون متفرغون يصلون ويصومون لكن قلوبهم

في المشرق والمغرب لم يلتفت قلبه إلى الله ولم يسأل نفسه هل أعتق أم لا؟ قد تكون الفكرة ما خطرت في باله أصلًا ولا اهتم لها، لا يدرك معنى العذاب والنار أو قد لا يعرفه أصلًا، لا يفهم قوله تعالى:

{*يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ*} [الحج آية ١٩] أو قوله: {*يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ*} [الحج آية ٢٠]

وأن أبا طالب الذي هو أخف الناس عذاباً يوم القيامة يوضع تحت أقدامه جمرتين يغلي منهما دماغه، هذا والجمرتان في موضع واحد في جسمه!

وهناك طبقه في النار تسمى طبقة الموحدين تأكل النار

منهم كل شيء إلا مواضع السجود، يعني كانوا يصلون معنا ويصومون لكن كانت لهم ذنوب لا بد أن يتطهروا منها، فهم أتوا يوم القيامة وما تابوا منها، فدخلوا النار لتطهرهم..

طيب هل فكرتِ أنت بهذا؟ هل حملت هم هذه اللحظة وسارعت بالدعاء أن يارب أعتقني من النار، أنا يا رب لا أريد دخولها ومقاساة حريقها بحال من الأحوال؟ إذن فتاجري في نيتك مع الله -عز وجل- لأن الله يريد منك القلب.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " [أخرجه البخاري في صحيحه]

يقول ابن المبارك: "رُبَّ عملٍ صغير تعظمه النية، ورُبَّ عملٍ كبير تصغره النية" فرجل صلى صلاة طويلة وهو ما بين راكع وساجد، نفسه متلهفة أن يرى الناس صلاته أو أن يوصف بأنه قارئ وحافظ! وآخر قد يكون قرأ بالمعوذات ولكن قلبه يرجف حبًا وشوقًا وخشية من الله وإليه..

فقد أكون عملت طاعة بسيطة ولكن عظمت النية فتقبلها الله عز وجل، والله

سبحانه يتقبّل الصدقة من الإنسان، حتّى لو كانت شيئا صغيرا، فيربّيها له.. هل تعرفين ما معنى يربّيها الله؟ يعني يأخذ صدقتك الصغيرة الخمسين ريال التي كانت معك ثم تصدقت فيها بقلب مخلص " يا ربِّ قد تكون هذه

ليلة القدر فيا ربِّ عظّم لي فيها الأجر، يا ربّ أنت تنظر لي من فوق سماوات، ياربِّ تقبلها مني وأطفئ فيها غصبك"

المهم هذه الخمسين يتقبّلها الله فيربّيها له كما يربّي أحدكم فلوّه يعني كما يربّي الخيل الصغيرة-

فتأتين يوم القيامة بجبال من الحسنات تقولين من أين يا ربّ؟! من أين لي بهذه الحسنات وأنا أعرف أن عباداتي كانت قليلة! لكن الله كبّرها لك لمّا تقبّلها منكِ..

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، ... »[أخرجه البخاري في صحيحه]

فتاجر بالنيّة واحتسب كل نواياك لوجه الله، وقال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ... » [أخرجه البخاري في صحيحه]

هذا الاحتساب نريد أن نتعلّمه ليس في رمضان فقط، ولكن حتّى ما بعد رمضان..

لذلك أهمية العشر الآن ليس لأجل أن نفوز بليلة القدر وأن نعتق من النار، إنما أهميتها لما بعدها من أيام، لذلك تجدين نفسك في رمضانات كثيرة تخرجين من رمضان كما دخلت فيه!

لذلك ادخلي هذه الأيام بشعور الافتقار حتى ينتشلك الله مما أنت فيه وتخرجين من رمضان هذا شيئا آخر مثل الكوكب الدرّي، أنتِ تريدين النّور يدخل مثل الشلال فيك من الداخل وضِقتِ من الظلام ومن السّواد الموجود فيك، وأنتِ تنتظرين رحمات الله تتنزّل عليك، طيب هذه الأشياء كيف يأتي بها الإنسان؟

تأتي بالدعاء، وبالذات في هذه العشر المباركات، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " [أخرجه البخاري في صحيحه]

الأمر الثاني: أنك تستفرغ الوسع في الطاعة،

فاستفرغي وسعك وطاقتك وائتي بأقصى ما تستطيعينه، لا تكلفي نفسك فوق طاقتك، ولكن ائتي بطاقتك والحد الأقصى لك، لا تأخذي نفسك بالهون والتمهل لأنها تسعة أيام ولا يوجد وقت للتمهل، هذه الأيام تمشي سريعة وما إن تبدأ حتى تنتهي، ولا تنتظري الأشياء حولك تتغير حتى تتغيري أنت، بل من البداية تعالي بأقصاكِ واستفرغي الوسع في الطاعة ولاتفتري لأن هذا الزمان ليس زمن الفتور ولا في زمن البرود وعلى قدر جدك واجتهادك يكون أجرك على قَدِر أنتِ ماتجيبين

ولذلك قال الله عز وجل: { وأن سعيهُ سوف يرى } [النجم آية ٤٠]

في الامتحانات الدنيوية يحاسبون على النتيجة وورقة الاختبار، ولا أحد ينظر لمدى سعيك وتعبك واجتهادك، لا أحد يقدر قدر دراستك هل درست أو ما درستِ، النتيجة مُعلقة بالنتيجة النهائية، لكن الله عز وجل لا يأتي بالنتائج النهائية لا يؤاخذنا بالنتائج النهائية فقط،

الله يؤاخذنا بالسعي لها أيضًا، فجدّك واجتهادك هذا محسوب لك أيضًا،

ولذلك لاتدعي بابًا للخير تستطيعين أن تفعليه إلا وافعليه .

طيب ماهي الأشياء وأبواب الخير التي يمكن تقومي بها كجدول يومي؟ مثلًا في الساعة التي بين المغرب والتراويح إذا كنت تقدرين على قراءة قرآن فيها فاقرئي، وإذا أحسستِ بنعاس بإمكانك أن تصلي السنة في ركعات

خفيفة واقرئي فيها من وردك مثلًا، ونوعي مرة اقرئي من حفظك ومرة اقرئي من المصحف، مرة أطيلي السجود وادعي وهكذا نوعي بالعبادات، ولا تتركي باب خير تستطيعين أن تطرقينه بسهم إلا وفعلتِ، إن قدرتِ أن تكوني من أهل الصدقات فافعلي، لو استطعتِ التفريج على مكروب فافعلي.

الأمر الثالث: التبتل:

من أشرف العبادات (التبتل) وقد قال الله تعالى: (وتبتل إليه تبتيلا)

والتبتل يعني أن تتملق إلى ربك، يعني قومي بالعبادات وأنتِ تريدين أن يرى الله منك خيرًا، واثني على الله، ولا تكون عبادة عادية بل أن يرى منك انقطاعًا إليه،

مثلًا تجلسين جلسة طويلة تقرئين فيها خمس أو ست أجزاء متتالية، تصلين صلاة طويلة، تسجدين سجودا طويلا خمس دقائق أو عشر دقائق ورأسك على الأرض، كل هذا أنت تتبتلين إلى الله،

وهذه اللفظة تذكرنا بمن؟ تذكرنا بمريم البتول صح؟ مريم البتول كانت أصلًا ثمرة لتبتل أمها امرأة عمران، ماذا قالت الأم في لحظة مناجاة مع الله عزوجل قالت: (ربّ إني نذرت لك ما في بطني محررا) فولدت فلما ولدت رأتها أنثى، وقد كانت تنتظر الولد، وما كانت تنتظره لأجل أن ينفعها أو يخدمها، بل أصلا هي سبّلته قبل أن يأتي، فلما رأتها بنتًا قالت: (ربّ إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم) ولاحظوا هي الآن لا تدعو بل تناجي ربها، وهذه المناجاة هي نوع من التبتل،

نحن نريد أن تكون علاقتنا مع ربنا ليست دعاء وطلبات فقط، بل مناجاة وثناء عليه وحديث معه، تقولين يالله أنا الصغير الذي كبرته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا الضال الذي هديته فلك الحمد، وأنا الذليل الذي عززته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أكرمته فلك الحمد، وهكذا اثني على الله بكل موقف مر عليك في حياتك،

ولا تكونين كافرة نِعَم، لا تجعلي عيونك لا ترى الشيء الذي أعطاك إياه الله عزوجل، وتذكري لو أن الله تعالى سلب منك نعمة من النعم كيف ستكون الحياة أصعب!

لذلك يتبتل الإنسان لله عز وجل ومعنى هذه الكلمة أن تقفلي جوالك، حاولي عدم الدخول على المجموعات وبرامج التواصل لأن كل هذه الدنيا ملحوق عليها، لا شيء سيفوتك، الآن هو وقت الله عز وجل فانشغلي بالله حتى عن همومك، فهمومك وكلي بها الله، وادعيه سبحانه أن يكفيك همّك، وفي الحديث: قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني :حسن]

أكثري من الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، فقد قال: إذن يغفر ذنبك ويكفى همك، فإذا كنت خائفة من أمر ما، وتحملين همه جدًا، فببركة الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام تكفين همك ويغفر

ذنبك، لذلك إذا اعتكفت فاعتكفي بقلبك كله، فحتى همومك وأحزانك ومشاغلك وذهنك المشغول كل هذا أقفليه، وفرغي قلبك لله، فرغيه حتى تستمطري هذه الرحمات، لذلك عندما نقول وكلي الله عزوجل بهمك فلا تستهيني بهذه الكلمة، فالله هو الكافي والله الوكيل والله الحفيظ، ولما يقول النبي عليه الصلاة والسلام "تكفى همك" فالله لا يكفيك همك فقط، بل يعطيك أحسن من رجائك.

أحد الأسرى المسلمين كان في بلاد الروم في معركة من المعارك وكان وحيدا لأمه وأبيه، وليس عندهم غيره، ذهبوا للحاكم في بلاد الأندلس وأخبروه أن ولدنا في الأسر ونحن كبار سن، فراسلوهم ونعطيهم فدية لكن رجعوا لنا الابن، فقال لهم الحاكم ليس عندي أموال ولا أقدر أرجع ولدكم، فما كان لهم إلا أنهم لزموا الدعاء ولجؤوا إلى الوكيل الكافي فدعوا الله، فماذا حصل؟ كان ولدهم أسيرا يعمل على حمل الأثقال والقيود في رجله من باب التعذيب، وبينما هو يعمل إذا بالقيود تنكسر في قدمه، فذهبوا به إلى الشرطة وضربوه يحسبونه هو من كسرهم، فقال لهم أنا ما كسرتها فنظروا للقيود فإذا هي سليمة غير مكسورة قد خرجت من رجله، فقيدوه مرة ثانية وفي اليوم الثاني ينكسر، وهكذا حصل في اليوم الثالث! فلما جاء القائد وبجانبه قسيس قال هذا لابد أن تكون وراءه أمٌ تدعو ربها! وهكذا شعر القسيس أن هذا الحدث العجيب ليس عاديًا ولابد أن وراءه قدرة خفيّة وسرا عظيما، ولما سأل الأسير قال له أنا الابن الوحيد لوالديّ، فأفرجوا عنه.

قبل أمس قدّمت كلمة عن الدعاء، فبعدما انتهيت منها، وكنتُ فيها أُعدد مواطن استجابة الدعاء في أوقات رمضان ووقت السحر والفطور إلخ، فجاءتني دكتورة مصرية من أحب الدكتورات إليّ، قالت لي بلهجتها: "يا هند ربنا كبير وربنا جميل وربنا مُش لازم دعوات في وقت الإجابة ربنا بيستجيب في أي لحظة" تأملوا في كلامها صدق اليقين والدعاء، وكأنه لم يعجبها في كلامي أننا ندعي في هذه الأوقات، بل ربنا يستجيب في أي لحظة، وفي أي حال وفي أي مكان، والقضية معتمدة على صدق اليقين.

الأمر الرابع: "جاهدي واصطبري"

فإذا دخلتِ معتكفك مع ليلة ٢١ قد يصيبك التعب والنعاس والإرهاق بعد ساعات، فجاهدي وصابري حتى تتمّيها وإلى الإشراق، وهكذا ثاني ليلة وثالث ليلة، وجرّي نفسك في بقيّة الليالي، ليس شرطًا أن تدخلي المعتكف وأنت بروح محلّقة إنما هو أمر يتطلب المجاهدة والاصطبار، فأنتِ تعبّدي الله سواء جاءت نفسك أو لم تجئ، تلذذت نفسك وأحبّت ما تفعل أو جاءت تُجرّ جرًا، ليس المطلوب أن نصل للذة من البداية إنما أن نعبد الله على الوجه الذي يرضيه، وأرى الله أن نفسك هذه سوف تأتين بها ولو غصبًا، ولن يحبطك عدم الشعور بالروحانيات واللذة عن التقاعس، بل أتعبد لك يارب لأنك تحب مني التعبد، ثم إنه من رحمة الله بنا أنه سبحانه يعطينا شعور اللذة والانشراح والسكينة بعد العبادة بعدما كنتِ في شعور بالانغلاق..

واسألي الله سبحانه أن يذيقك حلاوة الإيمان فهذه من الأشياء التي يسألها العبد من ربه، ولكن إذا لم تحصل فلا يكن هذا سبب تخاذلك وقعودك عن العمل، فلا يترك أحد الصلاة لأنه ما وجد لذة فيها، أو يترك قراءة القرآن لأنه ما

وجد لذة فيها، ذلك يقول أحدهم: من أراد أن تواتيه نفسه على الخير عفوًا فسينتظر طويلًا، فلابد على حمل النفس قهراً.

هذه قاعدة عند العلماء إذا كنت ستنتظرين نفسك أن تحلّق هي من نفسها وتشتاق للعبادة وتشتهيها فستنتظرين كثيرًا. لذلك قال ابن الورد: "إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل" طيب كيف نسابق والأبواب على الله مزحومة؟ قلنا أننا ندخل على الله من باب الافتقار، ومن سيسبق في هذا الباب؟ أكثرنا فقرًا.

يعني أنا لو دخلت من باب الافتقار وأنا أرى في نفسي أني الحمد لله صمت وقمت وقرأت عدة أجزاء من القرآن، وأتت أخرى دخلت على الله من نفس الباب تزحف زحفًا قالت يا رب آتيك وأنا ما عندي شيء، يداي خاليتان، فالذي يسبق في باب الافتقار هو أكثرنا حاجة، فلا يوجد إنسان في باب الافتقار يقول أنا ما عندي شيء، بل إقبالك على الله في هذه الحال -وأنت تعلم فقرك وضعفك وأنت ملتجئ للغني الكريم القوي- هو مصدر عزك ورفعتك، فلما تقبلين على الله وتعلمين أن أعمالك لن توصلك وأنك لست من هؤلاء الصالحين، الذين يساهمون في الصدقات وتفطير الناس، ممن يطوفون ويصلون ويقرؤون، وأنا يا رب انشغلت بنفسي وعيالي، وآتيك أزحف زحفا، اعلمي أن الله يحبك على هذه الحال، وأن اعترافك بفقرك هذا مصدر لعزّك.

السلف كانوا يقولون سيروا إلى الله عرجًا ومكاسير، فامشي إلى الله حتى لو أنت عرجاء أو مكسورة، وليراك الله على هذا الحال، وقد يوضح هذا المثال الصورة أرأيت لو كان في الحرم شخص كريم يوزع مساعدات والناس متكدسة عليه، وأتيتِ وأنتِ صاحبة حاجة تريدين مما عنده ولكنك رأيت الزحام عنده كبير وما استطعتِ الوصول من كثرة الناس حوله والرجال عنده والمضاربات، فذهبت وما زال في نفسك ما عنده؟!

ضعي نفسك في هذا الموقف مع الله جل جلاله، مع أن الناس مزدحمة عند بابه وأنت جئتِ ببضاعة قليلة، ولا طاقة فيك للتزاحم، ولكن الله ينظر إليك ليقول: أنتِ اقتربي، فأنت أصلًا بعيدة، ولكن الكريم الرحيم عينه تراك، فيأخذ بيدك ولا يتركك لنفسك.. فجاهدي واصطبري واذهبي إلى الله عز وجل .. واستعيني بالله ولا تعجزي ..

في الأذكار ندعو (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل) ونحن نقرأ في سورة الفاتحة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) فالخطوة الأولى هي أن تعبد أنت الله أولاً ثم يعينك الله، فليرى الله خطواتك الحقيقة في السعي إليه .. قدم الشبر الأول ليعطيك الله الذراع الذي بعده، لذلك قالوا (من يتعبد يزدد قوة ومن يتكسل يزدد فترة) وهذا معنى كلامنا حين نقول النوم يجرّ النوم،

لذلك من دعاء الشيخ ابن باز رحمه الله (اللهم أعطني القوة والنشاط في الخير) فكانت هذه الدعوة ملازمة له كما كان يقول تلاميذه .. وكان يُعطى قوة عجيبة في مواسم الخيرات .. فكان في الثمانين من عمره وكان يقوم الليل ٤ ساعات وكان مصابًا بسرطان في الجهاز الرئوي ولم يكن يترك قيام الليل إلى آخر أيامه.

الأمر الخامس: أن تحسني الظن بالله.

نحن على باب الكريم ولا يستمطر باب الكريم إلا بإحسان الظن فيه .. وهناك فرق بين من يسأل حاجة من فلان من الناس ويقول سأسأله ولا أظن أنه سيعطيني .. وبين من يسأل فيقول: لم أطلبه قط فردّني..

فحين تخاطبين الله سائلة: يارب لم أسألك أمراً إلا وأعطيتني ولا حاجةً إلا وفرّجت عني، فأنت الكريم الذي تكرم وترحم .. ومن يعطي الله؟ هل من أحسن الظن به أم من أساء الظن بعطائه؟

وقيل: يمنع الجود سوء الظن بالمعبود .. فإن كنت سيء الظن بالمعبود فهذا قد يمنع الجود عليك فأحسن الظن بالله .. ولو أحسنا الظن بالله لأحسنا العمل.

الأمر السادس: لتكن لك عبادات في السر لا يراها ولا يطلع عليها أحد فهذا أدعى للإخلاص

صدقة السر تطفئ غضب الرب .. فاجعلي لك صدقة يومية لايعلم عنها أحد وهذه الصدقة ضعيها لتطفئ فيها غضب الله عزو جل

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ، كَفَضْلِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى النَّافِلَةِ» [أخرجه الطبراني في معجمه ، وقال الألباني : حسن]

تغطية ما تستطيعين من وجهك حتى لا يعيقك نظر الناس إليك في تبتّلك ومناجاتك لله والعيش مع آياته، فابكي وتباكي مع الآيات، ولاتعيشي تلك اللحظات لوحدك وإنما أوقظي أهلك، قال الله سبحانه (واصطبر عليها)

هنيئاً للوالدين الذين يربون أولادهم على عظمة هذه الأيام، بعضهم يوسدون في التراب من عشرين أو ثلاثين سنة وأبناؤهم مازالوا يعظمون تلك الأيام بتعظيمهم هم إياها، لذلك أي غرس في الأبناء مهم، غرسك فيهم لا يقتصر على المدارس والمأكل والمشرب فقط، وإنما عليك الغرس الصالح، فتعظيم هذه الأيام يجب أن يغرس في هذه الأجيال.

والنبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين ذكر أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة

قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْهُ، حَتَّى بَقِيَ سَبْعُ لَيَالٍ، فَقَامَ بِنَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمْ يَقُمْهَا، حَتَّى كَانَتِ الْخَامِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ قَامَ بِنَا حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ. فَقَالَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ» ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمْ يَقُمْهَا، حَتَّى كَانَتِ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَلِيهَا، قَالَ: فَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، قَالَ: فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، قِيلَ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْ بَقِيَّةِ الشَّهْرِ. [أخرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الألباني : صحيح]

الأمر السابع والأخير: أن تكثري من الدعاء

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الألباني:صحيح]

لماذا اسم الله العفو؟! ولماذا خبئت تلك الدعوة لتلك الليلة؟

ذلك لعظيم معنى العفو حتى إنك لو لم تفعل شيئاً في مصلاك إلا أنك التزمت تلك الدعوة ..

معنى كلمة العفو في اللغة العربية: المحو والطمس .. يُقال: فعفت خطواته، أي انمسحت ولم يكن له أثر.
قال العلماء عن معنى كلمة العفو: الذي لايعاقب بالذنب ويمحوه، فإذا عفى الله عنك فلن يعاقبك بأي ذنب مضى ويمحو أثره فلن تجده في صحائف أعمالك ولاتجد أثره في قلبك.
فما الذين يردك إلى ذنب حين تتوب؟ هو أثره في القلب ..فحين يمحو الذنب من قلبك ومن صحائف أعمالك وكأنك لم تفعله أصلاً، وحين يمسح الله ذنوبك يوم القيامة أتراك تزج في النار؟ أم تعذب في القبر؟
فحين قال النبي عليه الصلاة والسلام ادعوا بهذا الدعاء لأنك لو فزت بعفو الله فقد فزت بليلة القدر .. وخرجت من رمضان كيوم ولدتك أمك، فالله إن عفا لا يمكن أن تعود بعد رمضان لما كنت عليه .. ستجد أن هناك أشياء تغيرت وذهبت عنك.

وأختم بقول السلف (ليلة القدر ليلها كنهارها لا يفضل شيء عن شيء)
فليالي العشر فاضلة أما ليلة القدر ليلها كنهارها لذلك يستحب الاجتهاد في الاثنين فتعكتف في الليل ولا يذهب النهار بالنوم بل من أحسن في نهاره كوفئ في ليله ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره.
فاملئي أوقاتك بالطاعة في هذه الأيام منذ أن تدخلين معتكفك إلى الإشراق.
وكان من قول السلف في من حضر ليلة القدر وهو قائم على معصية أن قالوا احذر أن تدخل ليلة القدر وقد أعطاك الله الصحة والعمر ثم ينظر الله إليك في تلك الليلة وينظر إلى عباده بين مصلٍ وبين داعٍ وبين من أعتقه، وأنت باقٍ على معصية .. فهذه الليلة من حُرم خيرها فقد حرم ولا يحرم خيرها إلا محروم.
عن أبى الدرداء - رضي الله عنه - قَالَ أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِسْعٍ: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ وَلَا تَتْرُكَنَّ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّدًا وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَلَا تشربنَّ الْخَمْرَ فإنَّها مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وأطعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُمَا، وَلَا تنازعنَّ وُلَاةَ الْأَمْرِ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ وَلَا تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكْتَ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ وَأَنْفِقْ مِنْ طولك على أهلك ولا ترفع عصاك على أهلك وأخفهم في الله عز وجل
[أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وقال الألباني : حسن]
فاحذري أن يسخط الله عليك في وقت يفترض أن يرحمك الله فيه ويعطيك.

كانت هذه إلماحة عن ليالي العشر، وأسأل الله أن يجعل فيها خير وبقية، وأسأل الله أن يعفو عنا ويغفر لنا وأن يرحمنا، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها